إلى الأستاذ البشبيشى

للأب أنستاس مارى الكرملى

(تأخرت فى البريد)

١ — تمهيد

أشكرك ، يا سيدى الشكر الجزيل الصادق ، على مطالعتك لمقالتى التى نشرتها لى (الرسالة) ، بخصوص كتاب (الإمتاع والمؤانسة) ، وأشكرك شكراً أعظم ، على أنك تنازلت فأبديت بعض ملاحظات تتعلق بكلمتى تلك . والآن أستأذنك فى إبداء ما عندى من النظرات . وأول كل شىء ، أود أن أقول كلمة فى تاريخ رسم الحروف فى مصر ، وهى :

٢ — تاريخ رسم الحروف فى ديار النيل

كان كتبة وادى النيل ، قبل سنة ١٢٧٥ للهجرة ، يختلف بعضهم عن بعض ، فى رسم بعض الأحرف ، ككتابة الأعلام المؤنثة المنتهية بالياء والهاء كأفريقية ، أو بالياء والألف كبادورايَة ، أو بالألف القائمة كبخارا ، أو بالألف الجالسة ، وهى الألف المصورة بصورة الياء كبخارى أيضاً (على رأى من يكتبها بهذا الرسم) ، وكالهموز الآخر الوارد على وزن التفاعل كالتخاجؤ والتخاجى ، وكان أغلب اختلافهم فى رسم الهمزة الواقعة فى قلب الكلمة كرؤوس ، وبدأوا ، ومشؤوم

وسبب ذلك جميعه ، أن كل واحد من أولئك الكتبة المصريين ، اتخذ له إماماً نحويًّا أو لغويًّا ، وحاول اقتفاء آثاره . ولما كان الأئمة الأقدمون كثيرين ، ويختلف بعضهم عن بعض فى هذه الأمور ، اختلف أيضاً متبعوهم ومقلدوهم فى هذه الأزمان الأخيرة

أما بعد سنة ١٢٧٥ ، فقد أخذ الاختلاف يزول شيئاً بعد شىء من بين ظهرانى أبناء النيل ، أو كاد يزول . وذلك لأن الشيخ العلامة نصر الهوريني وضع رسالة فى ذلك العام (المطالع النصرية ، للمطابع المصرية) ، ووشاها بقواعد لم يتبع فيها إماماً واحداً من أئمة اللغوية ولغويها ، بل جمع بينهم ؛ لأن اختياره لم يكن موفقاً ولا دائماً حسناً ، فقد خالف أحياناً سيبويه والحريرى والخفاجى وغيرهم من أولئك الأساطين العظام الأقدمين ، بل خالف أيضاً ثقات المتأخرين كجماعة الألوسيين : شهاب الدين ونعمان ومحمود شكرى ، فجاء تأليفه كفلك نوح ، الذى كان يحوى زوجين من أطايب الحيوان وخبائثه ، أى أن كتابه حوى أطايب القواعد وخبائثها . ومع ذلك راج كتابه أى رواج ولا سيما لأنه تولى تصحيح كثير من أسفار مشاهير الأقدمين ، وكانت تطبع فى مطبعة بولاق للحكومة المصرية ، منذ أن تولى تصحيح ما يصدر فيها ، حتى شاع رسم الهمزة فى تلك المطبوعات على ما أراد لا على ما كان رسمها المؤلف الأصيل فى كتابه

ومما زاد الطين بلة ، أن جماعة ممن جاء بعده من المؤلفين أصدروا كتباً للمدارس ، فأشاعوا وأذاعوا تلك القواعد التى سوَّرها الشيخ الهورينى بأسوار من فولاذ ، بل أقوى وأصلب ، فكانت الطامة الكبرى ولا سيما جاء الشيخ العلامة حسين والى وكان ينتظر أن يصلح ما أفسده سلفُه ، لكنه تابعه فى جُلّ قواعده ، إلَّم نقل فى كلها ، وسمى تأليفه (كتاب الإملاء) (كذا) ، مع أنه كتاب الرسم ، إذ الإملاء بهذا المعنى من كلام الترك واصطلاحهم . لا من كلام العرب ، كما كتب لى بذلك المؤلف نفسه فى كتاب أحفظه ، وكان جواباً على ما بينته له . فسارت تلك القواعد سير النار فى هشيم التبن بين جميع المعلمين والمتعلمين ، وهى لا تزال سائرة إلى هذا اليوم الذى نكتب فيه هذه الكلمة

إلا أنه — والحمد لله — قام مُناوِئاً للعالمين أعظم لغوى نخالفهما ، وهو الشيخ محمد محمود بن أحمد بن محمد التركزى المشهور بابن التلاميد (بدال مهملة فى الآخر) ؛ الشنقيطى : المغربى الأصل ، فإنه تولى طبع (المخصص) لابن سيده (بهاء محضة فى الآخر) ، وعلق عليه حواشى هى درر بل درارى ، فزاد قدر المخصص فى عيون الناس زيادة لا تضاهى فى شىء ، وقد رسم الهمزات فى مواطنها ، كما يجب أن ترسم على مذهب السادة الأئمة الفصحاء كسيبويه وابن الأنبارى وابن جنى والحريرى

والخفاجي وأضرابهم في هذا الأوان كأبناء الآلوسي والزهاوي والرصافي

وقد اتفق للشنقيطي أن فنّد بعض الأحيان تفنيداً فلسفياً وبصريح العبارة ، كلام الشيخ الهوريني وزيف أقواله ، وبذات الوقت لم يوافق على رأي الشيخ العلامة حسين والي ، ونحن نورد لك هنا نموذجاً مما قال ، وقد عثرنا عليه نهباً ، وقد جاء ذلك في المخصص ٨ : ١٧٨

٣ — الآئب لا الآيب

« آئب ، الصواب أن يكتب بالهمز بعد المد على قاعدة إبدال عين فاعل ، لمعتل فعله همزة ، وهي قاعدة مطردة لم يستثن منها حرف واحد بالإجماع . وقد عد في المغني من اللحن قول الفقهاء : « بايع » بالياء غير مهموز . ولا عبرة بما كتبه الشيخ نصر الهوريني في مطالعه ، حيث ذكر في صحيفة ٤٨ [من الطبعة الأولى وص ٧١ من الطبعة الثانية] حكم الهمزة المكسورة المصورة ياء ، وقال هناك : « نعم ، إذا كان قبلها ألف نحو آبل وآيس وآيب ، تبدل ياء حقيقية بمقتضى القياس الصرفي نظير ما قالوه في جمع ذؤابة على ذوائب ، حيث لم يجمعوه على أصله ذائب : وقد ورد من حديث الصحيحين قوله صلى الله عليه وسلم : آيبون تائبون عابدون . ولم يروه أحد بالهمز » انتهى لفظه بحروفه وهذا كله خطأ مخالف للقياس والرواية ، فلا يجوز التعويل عليه . ونحو ذوائب في جمع ذؤابة مما شذ عن القياس ، والشاذ لا يقاس عليه . والدليل على صحة ما قلته من إثبات همزة آئب وتحقيقها قول النابغة :

تطاول حتى قلت ليس بمنقض ... وليس الذي يرعى النجوم بآئب

وقول ابن زيابة :

يا لهف زيابة للحرث الصابح فالغانم فالآئب

وقول تأبط شرًّا :

فأبت إلى فهم وما كدتُ آئباً

وقول الأخنس بن شهاب :

تطير على أنجاز حوشٍ كأنها ... جهام هراق ماؤهُ فهو آئب

ونحو هذا كثير مما أجمعوا على روايته بالهمز فقط . وكتبه محققه محمد محمود لطف الله تعالى به . آمين

إلى « آمين » هو كلام الشيخ الشنقيطي العلامة الأكبر ، وهو في الوقت نفسه يرد على الشيخ حسين والي . وقد ورد كلامه مثل كلام الشيخ الهوريني في ص ١٩٢ من الطبعة الثانية من كتاب الإملاء فلا حاجة لنا إلى نقله على غير جدوى .

٤ — رؤوس . يبدأوا . مشؤوم . سؤم . سأم

قال الحريري في درة الغوّاص ، طبعة الجوائب في سنة ١٢٩٩ في قسطنطينية في ص ١٢٨

« فأما سؤول ، ويؤوس ، وشؤون ، ومؤونة ، وموؤودة ، فالأحسن أن يكتبن بواوين ، ومنهم من كتبها بواو واحدة » اهـ ولم يقل وترسم مفردة أو على نبرة إذا لم يكن فصل ما بعدها عما قبلها كما في مشؤوم ، وكما قال حضرة أستاذي المحترم محمود البشبيشي

ومثل كلام الحريري ، قال الشيخ الأجل الآلوسي في كتابه (كشف الطرة من الغرّة في ص ٤٦٨)

فيؤخذ من كلام الحريري والآلوسي أن الهمزة إذا وقعت في قلب الكلمة ، فإن كانت متحركة ، كتبت على حرف علة يجانس حركة ما قبلها كما في رؤوس . وعليه تكتب (يبدأوا) على الألف لهذا السبب نفسه لأن حركة الدال فتحة .

أما مشؤوم فقد قال في التاج في مادة (ش أم) : وشؤم عليهم ككرم ويَئِمُن ... ورجل مشؤوم ، بالهمزة على مفعول ، وكذلك يَمُنَ عليهم فهو ميمون . ومشوم ، كمقول والجمع مشائيم ، نادر وحكمه السلامة ... » والذي ورد مطبوعاً « مشؤم » وهي — ولا شك في النادر — من الناشر لا من المؤلف ، لأن هذا يقول : بالهمز على مفعول ، وفي مفعول خمسة أحرف ، فإذا كتبناها (مشؤوم) كانت الأحرف أربعة ، فظهر الخطأ من الطابع أو من الناشر ، ولم يكتبها أحد من العلماء الثقات الأثبات (مشؤوم على وزن مَفْعُل بضم العين ، لأن هذا الوزن نادر في كلامهم وليس مشؤوم منه .

فتكون القاعدة : إذا وقعت الهمزة متحركة في الوسط وسكن

ما قبلها كتبت على حرف علة يجانس حركتها . ولما كانت حركة مشؤوم ضمة كتبت على الواو ، وهي غير واو مفعول الملازمة له

أما إذا كانت الهمزة الواقعة في الوسط ساكنة فترسم على حرف علة يجانس حركة ما قبلها . فتكتب شؤم على الواو ، وشأم على الألف ، وبئس على الياء . وهذا كل ما يقال في رسم الهمزة الواقعة في الوسط

وقد تكلم الشيخ نصر الهوريني على الهمزة في كتابه المطالع النصرية في ٤٤ صفحة ، وبعد أن يتم القارئ الوقوف عليها ، يقول في نفسه : هل عرفت كيفية رسم الهمزة ؟ أما الشيخ أحمد فارس الشدياق ، فقد تكلم عليها وعلى مواطنها من الكلم في كتابه (غنية الطالب) المطبوع في قسطنطينية سنة ١٢٨٩ في ١٣ سطراً لا غير . ونحن ننقل هنا نصه ليطلع عليه من لا يملك الكتاب . وهذه هي وقد جاءت في آخر ص ٣١ وبدء ٣٢ :

« إن كانت الهمزة في الابتداء كتبت بصورة الألف دائماً نحو أنصر وأضرب وأكرم . وإن كانت متوسطة ساكنة كتبت بحرف يجانس حركة ما قبلها ، نحو : يأس وبؤس وبئس . وإن كانت متحركة وماقبلها ساكن نحو : يسأل ويلؤم ويَئِيس ، لغة في ييأس بمعنى يقنط ، أو كانت متحركة وما قبلها متحرك نحو سأل ولَؤُم ويَئِيس

وإذا كانت متطرفة ، فإن كان ما قبلها متحركا كتبت بحرف حركته نحو : قرأ وقرئ وقرؤ . وإلا فتكتب من دون حرف ، نحو شيء وبدء وجزء

وإذا وقعت همزتان ثانيتهما ساكنة قلبت ألفاً لينة وكتبتا بصورة المد نحو : آمن أصله أأمن على وزن أفعل . وأهل الغرب يكتبون الهمزة منقطعة وبعدها ألف نحو ءامن . وكذلك إذا وقع بعد الهمزة ألف نحو : المآكل جمع مأكل

وإذا اجتمع همزتان متحركتان ، جاز لك أن تفصل بينهما بألف نحو أأنت أم أمْ سالم . أما ماضي مهموز اللام المثنى فيبقى كتبُهُ بألفين نحو قرأا

والهمزة أحكام كثيرة قد اختلف فيها أهل الرسم ؛ ولو أنها رسمت من الأصل بصورة معلومة خاصة بها ، لما نشأ شيء من هذا الخلاف » انتهى كلام الشدياق

والسوريون المعاصرون ، والعراقيون واللبنانيون جروا ويجرون على هذه القواعد المذكورة هنا ، وهي أيضاً قواعد الحريري والخفاجي والآلوسي والشدياق ، ولا يخالفونهم في شيء

وإذا كان ثَمَّ من يجاري كتاب وادي النيل ، فهو لأنه تعلم في مدارس أبناء مُصَرَ من المصريين ، وطالع أشعارهم فخالف بذلك أهالي وطنه وعلماءه ، من عهد غير بعيد

والآن ، وقد بسطنا كل ما يهم القارىء في هذا الموضوع فهل يستطيع الأستاذ البشبيشي أو غيره من العلماء أن يأتي لنا بنص صريح يرتقي إلى أربعمائة سنة أو دُوَيْنها وفيه نُافي رسم الهمزة وحدها في حشو الكلمة في أي حال من الأحوال ، ويكون النص لعالم ثبت ثقة يعتمد عليه . فإننا نتحداهم حاقّ التحدي !

يا سيدي الأستاذ البشبيشي ، إننا نعلم العلم اليقين ، أن أسلافنا العرب كانوا فلاسفة أجلاء في سليقتهم ، حتى في قواعدهم الصرفية ، والنحوية واللغوية ، فهي تتدفق منطقاً ، وفلسفة ، وحكمة ؛ ونظن أن الذي حملهم على أن يرسموا الهمزة الواقعة في قلب الكلمة على حرف ، هو أنهم شبهوها بحشو البطن ، أو بقلب الإنسان . فكما أن الأحشاء لا تكون وحدها ، بل تقع بين الصدر والطرفين ، أي الرجلين ، كذلك الهمزة لا تكون وحدها ، بل تقع على ما يسندها بصدرها وطرفها

أفبعد هذه الفلسفة أو الحكمة العميقة ، والواضحة لكل ذي عينين نيرتين من يذم أحكام العربية وقواعدها ؟ ـ فإذا كان هناك من يفعل ذلك ، فهو من الشعوبية وأعدى أعداء العرب كهتلر ومصولينى !

ونظن أن في هذا القدر في هذا الموضوع ، مجزأة ، بل مكرهة لكل قارئ . فالعفو يا سادتي الكرام ، والمغفرة من شيم العرب الفخام !

(البقية في العدد القادم) الأب أنستاس مارى الكرملى
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية